«الآداب» في عامها الثالث والثلاثين

الحرب في لبنان هي السبب في تعثّر صدور «الآداب» وعدم انتظامه شهرياً منذ أكثر من عامين، منذ الاجتياح الاسرائيلي للبنان، على وجه التحديد.

وإذ تستعدّ الحرب الآن لأن تَضَعَ أوزارها ـ هذا ما نأمله على الأقل ـ فنرجو أن نتمكن من إعادة إصدار «الآداب» بشكل شهري منتظم في هذا العام، الذي أطفأت «المجلة» في مطلعه اثنتين وثلاثين شمعة من عمرها.

«الآداب» إذن مستمرّة وصامدة، بالرغم من جميع العراقيل، وبالرغم من منافسة المجلات الرسمية وشبه الرسمية المموّلة من أجهزة الإعلام والثقافة في البلاد العربية، وربما الأجنبيّة.

وسيلاحظ القارىء الكريم أن إدارة المجلة قد اضطرّت إلى رفع السعر ابتداء من هذا العدد لتستطيع الاستمرار في الصدور، بعد ارتفاع تكاليف الطباعة والورق والتوزيع..

ونأمل أن يتقبل هذه التضحية الصغيرة ليُعين مجلّته على المضيّ في تأدية دورها في خدمة الفكر العربيّ القومي التقدّمي.

«التحرير»

يؤكّد وظيفيته الدينيّة، أكّد، على العكس، وظيفيّته السياسيّة ـ الإيديولوجية، مستعيداً ما كان له، قبل الإسلام، من وظيفيّة قَبَليّة، وبخاصة في كل ما يتصل بالصراع السياسي ـ الاجتماعي.

(غير أن النظرة الأولى التي ترى الشّعر حدساً معرفياً ـ جمالياً، لم تزل، وإنّما هُمِّشت. وقد أفادت من التطوّر الحضاريّ، وبخاصّة في العصر العباسي، بحيث انتعشت وازدهرت، فأعادت إلى اللغة الشعريّة العربيّة هويّتها الأصلية، وللشعر العربيّ مجدَه الحقّ، مؤكّدة على كون الشعر تجربةً في الوجود، ومقاربةً معرفيّة وجماليّة، بخصوصية تميّزها عن المقاربة الدينية، والمقاربات المعرفيّة الأخرى. وتجد هذه النظرة في نتاج عمر بن أبي ربيعة، وشعراء الحب العذري، وذي الرمّة، وأبي نواس، وأبي تمّام، والمتنبي، والمعرّي، والنفري، وأبي حيّان التوحيدي، ومحيي الدين بن عربي، تمثيلاً لا حصراً ـ تجد تجسيدها الأغنى والأكمل. لكنّ طبيعة الدولة العربيّة، بنيةً ونظاماً، أدّت إلى أن تسودَ، نتاجاً وتذوّقاً، النّظرة التي تؤكد على وظيفيّة الشعر سياسياً وإيديولوجياً. وهي لا تزال سائدة حتى اليوم).

- ٤ -

نرى، في ضوء هذه الإشارة السريعة إلى تاريخنا الشعريّ، أنّ الدعوة القائمة، شبه السائدة، في عصرنا الحاضر، لربط الشعر، والكتابة الإبداعية، بأفقٍ ثوريّ ـ إيديولوجي، إنّما هي الشكل الإيديولوجي المحدث للنظرة الوظيفية القديمة: الشعر إناءٌ لنقل الأفكار، وأداةٌ للنضال.

ولا شك في أن لهذه الدّعوة مسوغاتها السياسية ـ الاجتماعيّة، وربّما «المعرفيّة» و«الفنّية» فالشّعر ليس شكلاً لذاته، قائماً بذاته في الفراغ، وإنما هو في التحليل الأخير، تعبيرٌ أو نشاط اجتماعيّ. وهو، بوصفه كذلك، مرتبطٌ عضوياً بقضايا الإنسان والمجتمع، خصوصاً ما اتّصل منها بالتحرّر والتّغيير. لكنّ المسألة ليست في هذا الارتباط، مبدئياً، فهو أمرٌ طبيعيّ وبَدَهيّ. فما من أحدٍ يعزل الشعر أو الكتابة الإبداعيّة عن الواقع وقضايا الإنسان، ويقذف بهما إلى الفراغ، وإنما المسألة هي في مَعْنى هذا الارتباط، وفي نوعيّته، وكيفيته. وهذا قلّما نناقشه، بل إنّنا نهمله غالباً، حاصرينَ كلامنا في ما يؤكّد على أنّ الشعر وسيلةٌ لتجميلِ الأفق النظريّ والعمليّ الذي تَخْتطّه أو تفتتحه الإيديولوجية. فنحن نبحث في استخدام السلاح، أكثر مما نبحث في السلاح نفسه: ما هو؟ وكيف؟

هكذا يبدو أنّ الالتباسَ الذي يحيط بالكتابة الإبداعيّة يتمثّل، نظريّاً، في تحديد طبيعة العلاقة بينها وبين الواقع المتحرّك ـ حَدَثاً أو عملاً، من جهة، وبينها وبين النظام الثّقافيّ السائد، من جهة ثانية. وهو يتمثّل، عملياً، في كون الشاعر العربي الحديث يتحرّك، إبداعيّاً، بين تقليدين: تقليد القِدَم،